الفصل السابع عشر

قيادة معتقدات متباينة

التقريب بين الجماعات الدينية

إيبو باتل

إنترفيث يوث كور

أبريل كونز

إنترفيث يوث كور

نواه سيلفرمان

إنترفيث يوث كور

تغـدو القيـادة الفاعلة التـي تشجِّع على إقامـة علاقات إيجابيـة بين الجماعـات المتباينة حاجـة ملحة، لا سيّما حين تعـرِّف الجماعات نفسها وفقاً لخطوط دينية. ويشهد التاريخ الإنساني والأحـداث المعاصـرة على عنف الصـراع بين الجماعـات الدينية المقسّمة وفقـاً لهويات دينية؛ وذلـك نظراً إلـى طبيعة الحافز الديني.[1] ولكـنّ التاريخ الحديث يُثبِت أيضـاً أنّ الحافز الديني هـو مصدر هائل لتحسين ديناميات الجماعات المتباينـة ومعالجة الأمراض الاجتماعية. وتواجه الإنسانيـة سؤالاً مهماً في حقبة من التديّـن المتزايد والاتصال المتكرّر المكثّف بين أناس ينتمون إلى خلفيات متنوعة.[2] فهل سيُعرف عصرنا بعصر صراع الحضارات، أم أنّنا سنجد سُبُلاً للعيش

معـاً بسلام، كـي نُنشِئ من تفاعلاتنـا المجتمع الأثير الـذي وصفه مارتن لوثر كينـغ جونيور في محاضرة نوبل 1964؟

> هنـا تكمن مشكلة البشرية الكبيرة الجديـدة. لقد ورثنا منزلاً كبيراً، «منزلاً عالمياً» عظيماً ينبغي أن نعيش فيه معاً (سوداً وبيضاً، شرقيين وغربيين، مسيحيين ويهـوداً، كاثوليكين وبروتستانتين، مسلمين وهندوس)، بوصفنا عائلة منقسمة إلى حدّ كبير على صعيد الأفكار والثقافة والاهتمامات. ولمّا كان أحدنا لا يمكنه قطّ العيش من دون الآخر؛ فإنه ينبغي أن نتعلّم، بطريقة أو بأُخرى، العيش معاً في هذا العالَم الرحب. [3]

سنستكشـف فـي هذا الفصل دور القيـادة في تحديد مستقبلنـا، وإن كان سيُقهر على أيدي مَـنْ يُقسّمون ويدمّرون على أساس الاختلاف الديني، أم أنّه سيُبنى علـى أيدي الذين سيُحدثون توازنـاً من التعاون والاحترام المتبادلين. ونبدأ أولاً بتصنيف هذا الخيار من زاوية ما نسميه خط المعتقـد، ومـن ثَمّ نستخدم ذلك الانقسـام الثنائي للتعبير بوضوح عن رؤيـة وإطار عمل لعلاقات إيجابيـة بيـن معتقدات متباينـة ندعوها **التعدديـة**. ونخوض بعد ذلك في المزايـا المشتركة بين إطـار عملنا هذا ومنهجيات نظرية مختلفة تناولت قيادة الجماعـات المتباينة، مستشهدين بعمل جيسيـكا ستيرن عن دور القـادة المركزي في الحركات الشمولية الدينية، وإمكانية أن يؤدوا أيضاً دوراً حاسمـاً فـي بناء التعدّديـة الدينية. وفي نهايـة المطاف، واعتماداً على مجمـل خبرتنا التي تمتـد زهاء عشرين عاماً من العمل على بناء حركة معتقـدات متباينة بوساطة منظّمتنا؛ إنترفيث يـوث كور (Interfaith Youth Core)، فإنّنا نحدِّد كفايات ثلاث، نعتقد أنّها تصنع قادة ناجحين لشباب من ذوي المعتقدات الدينية المتباينة.

خط المعتقد: الشموليون والتعدّديون

هيمـن العنـف الديني في سائر أرجـاء العالَم على أخبار الأعوام الأولـى من القرن الحادي والعشريـن: المسيحيون الأرثوذوكس والمسلمون في يوغوسلافيـا السابقة؛ اليهود والمسلمون في إسرائيل والأراضـي الفلسطينية؛ الهندوس والمسلمون في الهنـد وباكستان؛ الهندوس والبوذيون فـي سريلانكا؛ المسيحيون والمسلمون في نيجيريا؛ وتطول اللائحة. واجتاحت الصحف ونشرات الأخبـار وأكثـر الكتب مبيعاً في الغرب موجـة حديثة من المشاعر المعاديـة للأديان بوصفها ردّة فعل على هذه الظاهرة، تقول: «إن الدين يسمِّم كلّ شيء». [4] وهذه التركيبة خطيرة بوضوح؛ لأنّها

تَحُدّ من فهم الأجيال الناشئة للهوية الدينية، وتضعهم أمام خيارين اثنين: نبذ الهوية الدينية، أو التمسك بها، ليجدوا أنفسهم حتماً في صراع مع الذين يعتنقون معتقداً مغايراً.

إنّ استجابة الشباب لهذا الخيار الزائف تحمل في طياتها تبعات هائلة. لسبب واحد؛ فالشباب، في أغلب الأحيان، هم الذين يخوضون المعارك، ويَقتلون ويُقتلون في الصراعات الدينية في العالَم. ويفسّر هذا جزئياً أنّ أكثر مجتمعات المناطق حساسية في العالم على الصعيد الديني، هي مجتمعات شابة على نحوٍ مذهل؛ إذ لم يبلغ نحو 75 % من سكان الهند، الذين يربو عددهم على المليار نسمة، الخامسة والعشرين بعدُ؛ وتقل أعمار 85 % من سكان الأراضي الفلسطينية عن ثلاثة وثلاثين عاماً؛ ويبلغ متوسط أعمار سكان العراق تسعة عشر عاماً ونصفاً. ومع ذلك، فإنّ حفز هؤلاء الشباب إلى وضع همومهم الشبابية جانباً، وارتداء الأحزمة الناسفة، يحتاج إلى قوى إضافية. ويقتصر تركيز المتدينين المتطرفين على تجنيد الشباب؛ لأنّهم يرون فيهم ناراً يمكن إذكاؤها وتحويلها إلى جرائم جماعية. [5] وتضع هذه الظواهر المترابطة الشباب أمام مفترق طرق لأحد التحديات المركزية التي تواجهنا في العصر الحالي.

كتب المفكِّر والكاتب الإفريقي الأمريكي دبليو إي بي دو بويس قبل قرن مضى، قائلاً: «إنّ مشكلة القرن العشرين هي مشكلة خط اللون». [6] وإنّه لمن المخجل أنّ خط اللون لا يزال موجوداً. ومع ذلك، فقد ظهرت في مطلع القرن الحادي والعشرين الهوية الدينية، وهي أيضاً شديدة البروز ومسببة للخلاف، بصفتها تحدّياً جديداً، أي خطَّ فصلٍ جديداً، صاغ مسبقاً، وسيبقى، يصوغ العلاقات الإنسانية، وربّما يهيمن على القرن القادم.

ومع ذلك، لا نعتقد أنّ خط المعتقد يقسم الناس الذين ينتمون إلى هويات دينية مختلفة: اليهودي عن الوثني، والمسلم عن الهندوسي، والكاثوليكي عن البروتيستانتي، أو العلماني عن المتدين. في الواقع، يكمن التقسيم الأكثر بروزاً بين **التعدّديين المتدينين**، الذين يسعون جاهدين إلى بناء جسور من الاحترام والتعاون بين الجماعات التي تحمل معتقدات متباينة، **والشموليين المتدينين** الذين يسعون – من دون هوادة – إلى تدمير مَنْ يعتنقون معتقداً مختلفاً.

الشموليون المتدينون هم الذين يعتقدون: (أ) أنّ طريقة حياتهم وعقيدتهم وانتماءهم هي الطريقة الشرعية الوحيدة في العالَم، و (ب) يسعون إلى إدانة كلّ مَنْ يخالفهم وكرهه وقتله، أو

تحويلـه إلى معتقدهم. وينطوي التعريف بشقيـه، المعتقد والعمل، على المقدار ذاته من الأهمية؛ فلا يؤسس أحدهما شمولية من دون الآخر. ومن ثَمّ، فليست النظرية الدينية أو السياسية وحدها هـي ما يميِّـز شمولية أسامـة بن لادن، أو الحاخـام مئير كاهـان، أو إيريك رودولف، مثـلاً، إنّما استعدادهم للتعامل بعنف – وغالباً بعدائية– مع الذين لا ينسجمون مع رؤيتهم الكونية.

وفي واقع الأمـر، يمكننا أن نستمد إدراكنا المفاهيمي للتعدّدية الدينية من الأعمال الرائدة للفيلسـوف في العلـوم السياسية مايكل والزر، ومن أعمال ديانا إيك الباحثة في هارفارد ومؤسِّسة مشـروع التعدّدية. ويرى والزر أنّ التحدي الذي يواجهه المجتمع المتنوّع يكمن في تقبّل اختلافاته بمحبة والحفاظ على حياة مشتركة معاً. [7] وتقول إيك: إنّ التعدّدية ليست مجرّد أناس من مشارب مختلفـة يعيشون في أحياء متجاورة، بل تتخطى ذلك إلـى المشاركة المفعمة بالحيوية مع التنوع، عن طريق «السعي النشط للتفهّم عبر خطوط الاختلاف». ولا ينبغي لسعي من هذا القبيل أن يؤدي إلى الاعتقاد أن الأمور المختلفة صحيحة وحقة بالنسبة إلى أشخاص مختلفين وفي أوقات مختلفة، بـل تقبّل وجهة النظر الذاتية تجـاه الآخرين»، الذي يستدعي منّا التمسـك «بأعمق اختلافاتنا... بوساطة علاقة بالآخر، لا بمعزل عنه». [8]

نـدرك من إيك ووالزر أنّ التعدّدية هي شكل من أشـكال التعاون الاستباقي الذي يؤكِّد هوية الجماعـات المكوِّنة للمجتمع، مع تأكيده على أنّ ازدهـار كلّ من هذه المكوّنات يعتمد على ازدهار المجمل. وبذلك، يمكن افتراض أنّ التعدّدية تتألف من مكوّنات ثلاثة، هي:

1. احترام الهويات (الدينية وغيرها) للجماعات المختلفة.
2. العلاقات الإيجابية بين المجتمعات كلّها.
3. علاقات الشراكة الفاعلة التي تُعزِّز المصلحة المشتركة لسائر الجماعات.

يشتـرك إطار عمـل التعدّدية هـذا مع مبـادئ دراسة العلاقـات الإيجابية بيـن الجماعات المتباينـة فـي كثير من المزايـا. ويعتمد بناء التعدّدية فـي أبسط أشكالها علـى تشجيع الاتصال بيـن جماعات» نحن» وجماعات «الأغيـار». ومع ذلك، وكما يشير بيتنسكـي وسيمون، فقد «لاحظ الباحثـون منذ زمـن بعيد أنّ مجـرد الاتصال غيـر كافٍ لتحسين العلاقات بيـن الجماعات». [9] ومـن الأهمية بمـكان أن يرتكز الاتصال على مفهومين اثنين يسمـوان على جماعات «نحن» وعلى

جماعات «الأغيار»، هما: أهـداف المصلحة المشتركة (المكوّن الثالث المذكور أعلاه)، واحترام الهوية (المكوّن الأول).

تُعَـدّ دراسة «كهـف اللصوص» المشهـورة، التي أجراهـا شريف وآخرون عـام 1961م، من الأمثلـة التي تبيِّن قـدرة أهداف المصلحة المشتركـة على بناء علاقات إيجابيـة بين الجماعات الفرعيـة التي ساد بينها توتـر سابقاً، وهذا ما يؤدي إلى هوية عليا جامعـة. وفي هذه الحالة، قاد الباحثـون مجموعتين من الفتيان في مجموعة من الأنشطـة المصمّمة لزرع بذور الصراع، بجعل المجموعتين تتنافسان على موارد شحيحة. وقد حاول الباحثون بعد ذلك تخفيف التوتر باستخدام مجموعـة من الأنشطة التي تعزِّز المصلحة المشتركـة، كالمشاركة الجماعية في سحب عربة من خندق، ليجدوا أنّ «حدّة الصراع انخفضت عندما اضطرت المجموعتان إلى تحقيق هدف يتطلّب منهما العمل معاً (أي هدف أعلى). لقد قرّبت الأهداف العليا الجامعة بين جماعة «نحن» وجماعة «الأغيار»، وساعدت أعضاء الجماعة على إعادة تصنيف هويات مجموعتهم إلى هوية [عليا]». [10]

ومـع أنّ دراسـة «متنزه كهـف اللصوص أو تمديـد نظرية الصـراع الواقعيـة» تُثبِت فاعلية استخـدام أهداف المصلحـة المشتركة العليا لتحسين العلاقات، فـإنّ استخدام نموذج التعدّدية الذي نعرضه في هذا الفصل لا يسعى إلى إعادة تصنيف كاملة، تُعرَف عادة بالاستيعاب، لهويات الجماعـات الفرعيـة (مثـل: البوذيـة، والمسيحيـة، والهندوسية) إلـى الهوية «التعدّديـة» العليا الجامعة. وتختلف التعدّدية عن الاستيعاب؛ لأنّ التعدّدية تتطلّب احترام هويات الجماعات الفرعية (المكوّن الأول)، ومن ثَمّ فهي أشبه بنموذج التمايز الثنائي بين الجماعات، الذي عرّفه هيوستون وبراون، وشرحه بيتنسكي وسيمون.

> يُعَـدّ نمـوذج التمايز الثنائي بين الجماعات مثـالاً على العلاقات الإيجابية بينهـا، يمكن بوساطته تعزيـز الهوية العليا الجامعة مع الحفاظ على الهويات المميّـزة للجماعات الفرعية. ويدعو [هذا] النمـوذج إلـى احترام هويـات الجماعات الفرعيـة المحتواة ضمـن هوية عليا جامعـة، بالمقدار نفسـه الذي تُحترم فيـه الهوية العليا الجامعة؛ بهـدف التشجيع على إقامة علاقـات إيجابية بين الجماعـات... ووفقـاً للنموذج، يمثِّل الاعتراف بكلّ من الصلة بيـن الجماعات (أي هوية الجماعة العليا الجامعة) والاختلاف (أي هويات الجماعات الفرعية) الإستراتيجية الفضلى لإحداث تغيير في الموقف والسلوك، يجري تعميمه في أوضاع أخرى. [11]

وعوضـاً عن التشجيع على هوية «تعدّدية» عليـا طاغية قد تخنق هويات الجماعات الفرعية، يسعـى نموذج التعدّدية الذي نشرحه هنا إلى ربط الخصائص المميِّزة لهوية جماعة فرعية ببناء علاقات إيجابية والتزام بالمصلحة المشتركة، ومن ثَمّ بالهوية «التعدّدية» العليا الجامعة.

كفايات القيادة الفاعلة في الأديان

يتطلّب تطبيق هذا النموذج قادة يتحلّون بكفايات خاصة. وتؤكِّد جيسيكا ستيرن في دراستها المهمـة عن الشمولية الدينية، التي موّلها مركز القيادة العامة في هارفارد (Center for Public Leadership at Harvard)، أنّ القيادة ركيزة أساسية في بناء الحركات الشمولية. وتشير ستيرن فـي نهاية فصـل حمل عنوان «القادة وكوادرهـم» في كتابها «إرهاب باسـم الله» إلى أنّ «الحروب المقدسـة لا تندلـع إلّا عندمـا يشعر عدد كبير مـن الشباب بالذل والحرمـان؛ وعندما يطفو على السطح قادة يُحسِنون استغلال هذه المشاعر؛ وعندما ترغب فئة في المجتمع، لسبب أو لآخر، في تمويلهـم». [12] وليـس مهماً إذا كان قمع الشباب حقيقيـاً أو متخيلاً؛ إذ «بمقدور قائد إرهابي بارع تعميق أو استغلال مشاعر الخيانة والرغبة في الانتقام» في الحالات جميعها. [13]

وفي حديث شخصي مع أحد كتّاب هذا الفصل، أشارت ستيرن إلى أنّ القيادة الناجحة هي ركيـزة أساسية فـي بناء الحركات الدينية الشمولية الفاعلة، وهي قادرة أيضاً على حفز الحركات إلى التعدّدية الدينية. [14] لذا، سنخصِّص بقية هذه الفصل لمناقشة الكفايات الرئيسة التي يجب أن يتحلّى بها القائد الذي يرغب في بناء حركة، وتوجيهها نحو الجانب التعدّدي من خط المعتقد.

القدرة على صياغة رؤية مقنعة للتعدّدية الدينية

وجدت ستيرن «أنّ المتغيّرات نفسها (سياسية، أو دينية، أو اجتماعية، أو كلّ ما سبق)، التي يبدو أنّها جعلت شخصاً ما أن يصبح إرهابياً، قادرة على جعل شخص آخر أن يصبح قديساً». [15] ومـا يصنع الفرق، في أغلب الأحيـان، هو أسلوب القادة في تأطير الوضـع؛ إذ «قد يقتنع الشباب بأن أداء الأدوار التي تبدو بطولية أن يصبحوا قتلة قساة القلب لخدمة أفكار سيئة مُغلَّفة على نحوٍ مغرٍ.» [16]

ومـن الأمثلة الجوهرية على مثل هـذه الرؤى، البيان الذي أرسله ابن لادن إلى قناة الجزيرة عـام 2001م، ويـروي فيه قصة فتى يكتشف أنّ حيواناً (الولايـات المتحدة الأمريكية) يعيق مسار

رجل دين (العالم الإسلامي). ويقوم الفتى بذبح الحيوان، الأمر الذي يعلق عليه رجل الدين قائلاً: «أنت أفضل مني اليوم يا بني». ومن ثَمّ يعلِّق ابن لادن على القصة.

> لقد أنار الله قلب هذا الفتى بنور الإيمان، فراح يقدِّم الأضاحيّ في سبيل «لا إله إلا الله». إنّها قصة فريدة وقيّمة ينتظر الشباب المسلمون أن يقصها عليهم دعاتهم، لتبيِّن للشباب أنّ [الخاطفين في 11/9] أناس تخلوا عن كلّ شيء في سبيل «لا إله إلا الله». [17]

يتبع ابن لادن قصته هذه بأُخرى تروي كيف قام عمّ الرسول – عليه السلام– حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه– بقتل رجل ظالم. ويسبغ ابن لادن بهذه الطريقة الشرعية على هذا العمل، ويربطه بشخصية تاريخية عاشت في عهد الرسول – عليه السلام– يُعُدّها المسلمون شخصية بطولية، ويزعم أنّ بطولة هذا الرجل تنبع من عنفه. ويقول ابن لادن عن حمزة: «لقد حقّق نصراً عظيماً، ورفعه الله إلى مرتبة سيد الشهداء». [18]

يُعَدّ استخدام ابن لادن سردَ القصص من العوامل التي تجعل رؤيته فائقة البراعة والإغراء. لقد درس ستانلي هاورواس وغيره من علماء اللاهوت الجانب القصصي للهوية الدينية بإسهاب، ورأوا أنّ سرد القصص هو أمر جوهري للفهم الذاتي؛ الفردي، والشعبي: «وليست القصص شروحاً بديلة يمكننا أن نأمل يوماً ما بإيجاد ما يفوقها بساطة وصراحة. على العكس تماماً، فالقصص ضرورية كي ندرك جوانب وجودنا التي لا تقدِّم شرحاً أوفى؛ أي، الله والعالم والذات». [19] ووفقاً لدان بي ميك أدامز، وهو بروفيسور في علم النفس بجامعة نورث ويسترن، فإنّ « القصص توجِّه السلوك في كلّ لحظة، ولا تؤطر كيفية رؤيتنا للماضي فحسب، بل نظرتنا إلى أنفسنا في المستقبل أيضاً». [20] ويشير هذا البحث إلى أنّ العقل مستعد بصورة طبيعية لتقبّل البناء القصصي.

ونظراً إلى الصلة الوثيقة التي تربط بين السرد القصصي وتشكيل الهوية، يغدو تأليف قصص عن العنف الديني ضرورياً، إذا أراد المرء إنشاء هوية وخطط المقاتل الديني. فقد استخدم ابن لادن في النص السابق السرد القصصي المجازي والقصص الدينية؛ من أجل صياغة رؤية للعنف الديني، ونقل فكرته إلى المسلمين الشباب على نحو مثير، قائلاً لهم ما فحواه: «كي تربط قصتك بأمانة ربطاً وثيقاً بقصة الإسلام، عليك أن تمارس العنف ضد الظالمين، وأن

تقف في وجههم». وعلى نحوٍ مشابه، فإنّ إنشاء قصص عن التعدّدية الدينية هو أمر جوهري لإنشاء هوية وخطط شخص تعدّدي. لذا، يجب أن يكون قادة المعتقدات المتباينة رواة قصص عن التعدّدية، وأن يحيطوا بالوضع الحالي المحلي؛ لأنّه يستدعي بناء تعدّدية، ويُلهِم الآخرين لتولي القيادة. لقد سعينا للقيام بذلك في سياق هذا الفصل عن طريق تصور قضية خط المعتقدوالإحاطة بها، وسرد قصة إمكانية التعدّدية الدينية.

الإلمام بالقصص الدينية التي تتحدث عن التعدّدية

يجب أن يصل القائد الناجح إلى صميم كلّ مجتمع متدين، وأن يستخلص القصص التي تربط قصة ذلك المجتمع برؤية التعدّدية. ويجب عليه أيضاً أن يعرف الجوانب السائدة في تقاليد هويات الجماعات الفرعية، التي تسمح لأعضائها بالانتساب إلى هوية عليا جامعة، من دون التقليل من أهمية هويتهم الفرعية. وكلّما برع القادة في نسج قصة التعدّدية من خيوط قصص التقاليد المميّزة، كان سهلاً على الأتباع تصور الهوية التعدّدية على أنها تطور طبيعي لهوية مجموعتهم الفردية.

يُعَدّ هذا النوع من الاطّلاع الديني امتداداً لما يُدافع عنه ستيفن بروثيرو في عمله «الاطّلاع الديني» الذي أنجزه عام 2007م. وينصب تركيز بروثيرو على معتقدات وحقائق أساسية، مثل: أسماء أديان العالم الرئيسة، وكتبها المقدّسة، ومصطلحاتها الأساسية، ورموزها ـ وما كاد يتناول مفهوم «الإلمام القصصي». [21] وسنركّز هنا على ضرورة أن يتحلّى قائد المعتقدات المتباينة الناجح بالبلاغة في قصص محدَّدة توضِّح مكوِّناً واحداً أو أكثر من مكوِّنات التعدّدية، إضافة إلى إلمامه بالمعتقدات الرئيسة والقصص العامة لتقاليد العالَم.

إنّ أفضل القصص هي القصص والتعاليم والشعائر الدينية التي تتحدث عن العلاقات والأعمال التي تؤدي إلى التعدّدية الدينية. ويجب أن تشير القصص التي تتحدث عن العلاقات إلى أهمية العلاقات مع الأشخاص المختلفين بعضهم عن بعض. ومن التعاليم القرآنية الرئيسة في الإسلام – مثلاً – السورة 49: «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا». وفي اليهودية، يعدّ سفر التثنية (10:19) «فأحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر»، من التعاليم الرئيسة.

وإن القصص الرائعة التي تتحدث عن العمل هي القصص التي تتناول قيمة مشتركة بين أكثر المعتقدات الدينية، والتي من شأنها أن تقدِّم أساس العمل المشترك بين جماعات دينية مختلفة. فمثلاً، نجد في البوذية تعبيراً واضحاً عن قيمة مشتركة، هي خدمة الآخرين: «لو عرفت الكائنات ثمرة تقاسم الهدايا، مثلما أعرفها، ما كانوا ليستمتعوا باستخدامها من دون مشاركتها مع الآخرين» (إيتيفوتاكا: 18)؛ وفي المسيحية نجدها على النحو الآتي: «لأنّي جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني... الحق أقول لكم: كلّما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه». (إنجيل متى: 40–25:35)؛ وفي الهندوسية: «في البداية، خُلق الجنس البشري وواجب الخدمة الإيثارية معاً» (بهاغافاد جيتا: 3:10).

يجب أن يتوخى القادة الحذر فيما يخص استخدام هذه القصص، وأن يحترموا أيضاً التفسيرية الدينية المميّزة **لكلّ** المجتمعات المتدينة. ولا يستطيع قائد معتقدات متباينة – مثلاً– أن يزعم لنفسه سلطة دينية على المجتمعات كلّها. ويُعَدّ القيام بذلك تخطياً لحدود اللياقة، وخيانة لثقة القادة الدينيين الآخرين، وانتهاكاً للمبدأ القائل: «إن التعدّدية ليست ديناً جديداً يجمع بين معتقدات عدّة ، ويشمل هويات جماعاته الفرعية أو يهيمن عليها». ويتمثّل دور القادة في نمذجة هذا النوع من الإلمام في معتقدهم الخاص، ومن ثَمّ تشجيع الأتباع على تحقيق إلمام مشابه في معتقداتهم الخاصة الموافقة. ويتطلّب ذلك أن يكون القائد مُلِمّاً – إلى درجة كافية– بالمعتقدات الأُخرى حتى يتمكّن، على سبيل المثال، من الرد على قصة روتها شابة يهودية عن حسن ضيافة عائلتها بقوله: «هل يرتبط ذلك بتأكيد اليهودية على الترحيب بالغريب؟».

من أمثلة القصص الرائعة، تأتي قصة جنان التي تشبك قصة القائد الشخصية بقصة عن معتقداتها على نحوٍ يجعل القصة تشير إلى التعدّدية. وجنان هي سيدة مسلمة من العاملين في إنترفيث يوث كور.

> تقول جنان: « عائلتي مسلمة، وديانا، صديقة أمي المقربة، كاثوليكية متدينة. وكانت ديانا وعائلتها أقرب إلينا من عائلتنا الكبرى في أثناء نشأتنا. وخلال زيارات ديانا لنا، كنت أوصلها بسيارتي إلى الكنيسة كلّ أحد، وكانت توقظني عندما كانت تلاحظ أنّني لم أستيقظ على صوت المنبه لأداء صلاة الصبح. وتذكرني علاقتنا بقصة جعفر الطيار، وهو ابن عمّ الرسول محمد عليه السلام؛ إذ أُوكِلت إلى جعفر، في أثناء اضطهاد المسلمين بمكة، مسؤولية قيادة جماعة من المسلمين

قرّرت الهجرة إلى مملكة الحبشة المسيحية. ولمّا التقى الملك النجاشي بهذه الجماعة، طلب إلى جعفر أن يُحدِّثه عن محمد عليه السلام. فنقل جعفر رسالة نبي الإسلام محمد عليه السلام، ثمّ تلا آية مريم التي تتحدث عن قصة عيسى عليه السلام وأمّه مريم، الأمر الذي أثّر كثيراً في النجاشي، فرحّب بالمسلمين في مملكته، وشجّعهم على ممارسة شعائر الإسلام بحرية. لقد حمى المجتمع المسيحي جيرانه الجُدد، وراعى كلّ مجتمع المجتمع الآخر واحترم اختلافه عنه. وهكذا كانت العلاقة بين عائلتي وديانا. كنّا جميعاً ملتزمين بمعتقداتنا، وكان ما يجمعنا معاً هو رحلات إيماننا، التي ناضلنا خلالها وعانينا جنباً إلى جنب. وتكمن قوة صداقتنا في القيم التي نتقاسمها، كما كان الحال بين جعفر والنجاشي».

لا تربط قصة جنان تجربة عائلتها الشخصية بقصة ذات جذور ضاربة في معتقداتها فحسب، بل توضّح من خلالها أيضاً أنّ للإسلام أساساً متيناً في دعم العلاقات التعدّدية، مثلما هو واضح من العلاقة بين جعفر والنجاشي ومجتمعيهما. وبعد أن أتقنت جنان حبكة قصتها، باتت مسؤولة عن روايتها بحيث يتمكّن الآخرون، لدى سماعها، من التفكير إن كان لديهم هم أيضاً علاقات متينة مع أناس مختلفين عنهم، وإن كان مجتمعهم الديني يمتاز أيضاً بتقاليد التعدّدية. ويمكن لجنان عند ذلك الاتكاء على معرفتها بتقاليد الشخص لمساعدة المستمع على بناء هذه الصلات، وتشجيعه بصورة استباقية على بناء التعدّدية.

ربط الآخرين بقصة التعدّدية بوساطة أنشطة فعلية

قال الحبر الأعظم إبراهيم جوشوا هيشيل ذات مرّة: «نبدأ أولاً بالكلام، وعلينا بعد ذلك الانتقال إلى العمل». لذا، يتعيَّن على قادة المعتقدات المتباينة الشروع في أنشطة فعلية تتيح للجماعات والأفراد ربط هويتهم المميّزة بالهوية التعدّدية العليا الجامعة، وبهدف المصلحة المشتركة. وأما ما يخص القادة الشموليين، فالنشاط الفعلي هو العنف. أمّا قادة الشباب أصحاب المعتقدات المتباينة، فالنشاط – في رأيهم– هو خدمة المجتمع ذي المعتقدات المتباينة، ومشروعات الحوار. وليست الخدمة قيمة مشتركة نجد تعبيراً عنها في جميع أديان العالم والمعتقدات الفلسفية، وتقدِّم من ثَمّ قاعدة مشتركة صُلبة يمكن صياغة تقدير متبادل استناداً إليها فحسب، بل هي (الخدمة) أمر يمكن للمرء القيام به أيضاً.

يتطلّب التميّز في هذه الكفاية مهارات في مجالات عدّة:

أولاً: تجنيد القائد الشركاءَ والمشاركين المناسبين لإنجاز مشروع ما؛ إذ تعمل أكثر مشروعات بناء الحركات نجاحاً على إشراك ما يدعوه مالكوم غلادويل «المُتبنين الأوائل». [22] وهؤلاء قادة موهوبون وأصحاب نفوذ وتأثير، وهم أول مَنْ يقدِّم الدعم لفكرة جديدة، ويبدؤون بنشرها في نطاق نفوذهم. ويجب أن يكون نفوذهم مفيداً على صعيد تعبئة الشباب بهدف بناء التعدّدية الدينية؛ وهؤلاء في أغلب الأحيان هم الشباب أنفسهم، ولكنّهم أناس أيضاً، كالناصحين الشباب المتدينين، الذين يتمتعون بجاذبية خاصة، واهتمام كبير بالشباب.

ثانياً: تصميم القائد مشروعات تمنح المشاركين إحساساً عميقاً بالإنجاز الجماعي، وتحترم مسبقاً الهويات الدينية. وينبع هذا من المناقشة التي دارت سابقاً بخصوص نظرية قيادة الجماعات المتباينة والتعدّدية الدينية، إضافة إلى أفضل الممارسات في تعلّم الخدمة والعمل في ظروف المعتقدات المتباينة، والمراجعة الكاملة لما سبق ليست في صُلب موضوع هذا الفصل. ويمتاز مشروع من هذا القبيل بهدف يمكن تحديده وتحقيقه بوضوح، ويستطيع المشاركون كافة دعمه وهم مرتاحو البال. ومن أمثلة ذلك: بناء منزل لعائلة محتاجة، أو ربّما، إذا كان مشروعاً قصير الأجل، بناء جدار من منزل. ويتمتع مشروع من هذا القبيل بهدف واضح، وسيلقى دعماً واسعاً من المجتمعات الدينية المشاركة كلّها. ويمكن لمشروعات أكثر إشكالية أن تكون مصيرية بالنسبة إلى بناء التعدّدية.

ثالثاً: قدرة القائد البارع على تهيئة الظروف المناسبة لإجراء الحوار الذي يعزِّز الهوية التعدّدية العليا الجامعة، مع حماية هويات الجماعات الفرعية. وينبع هذا مباشرة من أول كفايتين ناقشناهما، وهما: صياغة رؤية للتعدّدية الدينية، والطلاقة في القصص الدينية التي تتحدث عن التعدّدية. ولكنّ الحوار يجب أن يركِّز على استخلاص القصص الدينية التي تتحدث عن التعدّدية من معتقدات المشاركين تحديداً، ومن خبراتهم في الحياة. ويمكن تحفيز هذا بسرد قصة بسيطة مشجّعة، مثل: «أَخبِرْنا عن مرَّة خدمْتَ فيها الآخرين»، «وهل ثمّة قصة في عقيدتك تدعوك إلى خدمة الآخرين؟». يُذكَر أنّ هذا النوع من سرد القصص يُمكِّن المشاركين من بناء علاقات محترمة فيما بينهم مع الحفاظ على هويتهم التعدّدية.

رابعاً: تحديد المشاركين الذين يتحلّون بصفات قيادية، وترقيتهم إلى أدوار القيادة في بناء التعدّدية؛ إذ سيجذب كلّ مشروع مشاركين قادرين على التعبير عن التزام أكثر أهمية ببناء

التعدّديــة. وبذلك، سيبحث المنظّــم الناجح عن مثل هؤلاء المشاركين، ويطلــب إليهم أن يخطوا الخطــوة اللاحقة، وأن يصبحوا معاونين، يساعدون على التخطيــط للمشروع القادم، أو يسردون قصــة مشاركتهــم للآخرين. إنّ فرص قيادتهم لا نهاية لهــا. والجزء المهم هو أنّ أحداً ما يعترف بطاقاتهم الكامنة، ويطلب إليهم المشاركة.

خلاصة: وعظ الجوقة

علــى الرغم مــن أنّ استمرار العنف الديني العالمي في الوقــت الحالي واتساع رقعته، يحمل كثيرين على الاعتقاد أنّه من المكوِّنات الضرورية للوجود البشري، أو الديني في الأقل، فإنّنا نسعى إلى إثبات عدم صحة هذا الأمر بالضرورة. ونحن، عوضاً عن ذلك، نعبِّر بوضوح عن رؤية للتعدّدية الدينيــة، نعتقد أنّ جذورها ضاربة في أعماق القصص الدينية نفسها، وتعتمد على بحوث موثوقة في علاقات الجماعات المتباينة، حتى نضمن لها النجاح. ونقول إنّ الأمر يتطلّب من القادة، وقادة المعتقــدات المتباينــة تحديداً، أن يبنوا هــذه الرؤية، لتحل قصة الســلام والانسجام محل قصة الصراع السائدة.

من التحديات التي كثيراً ما نواجهها في أثناء دفاعنا عن هذا العمل، أنّنا نقدِّم وعظاً للجوقة فقــط: «هل التعدّدية موجّهة حصــراً إلى مَنْ آمنوا بها مسبقاً، وهي غيــر فاعلة في تغيير قناعات مَنْ ليسوا كذلك؟». ونقول إنّ استثمار كفايات محدَّدة، ووجود قادة معتقدات متباينة ناجحين، لن يكــون كفيلاً بتحفيز الجمهور الموجود مسبقاً فحسب؛ أي الجوقــة المعروفة، بل بتوسيع الجمهور باطراد أيضاً.

يفلــح تشبيــه الواعظ– الجوقــة جيداً في توضيح هــذه الكفايات. وأول شــيء يفعله الواعظ الجيــد هو تقديم الوعــظ للجوقة على شاكلة أغنية ملهمة؛ أغنية تشــرح بوضوح رؤية للعالَم مثلما يجــب أن يكــون. ثــمّ حرص الواعظ علــى أن تتعلّم الجوقــة الأغنية، لا أن تسمعهــا فحسب، بل أن تتبناهــا وتنشدهــا للآخريــن. ثــمّ تدريب الواعــظ الجيد أعضــاء الجوقة كافة كــي يصبحوا هم أنفسهم واعظين، ويبعث أعضاء الجوقة إلى العالَم كي يؤسّسوا جوقاتهم، ويصبحوا مديرين لها. بكلمــات أخرى، فالأمر الرئيس في إستراتيجيتنــا هو إقناع أعضاء الجوقة الموجودين أنّهم ليسوا مجــرّد مشاركين فحسب، بــل منتجين أيضاً؛ فهم الذين يضخّمون صوت الرؤية، ويوسّعون جمهور

الحركـة. وختاماً، فكلّنا أمـل، بمزيد من تحسين هذه الإستراتيجيـة وتطبيقها، أن نتمكّن – على الرغم من كلّ شيء– من البناء والعيش بسلام في «منزل العالَم» العظيم الذي تصوَّره مارتن لوثر كينغ جونيور قبل قرن مضى.

Notes

(1) Mark Juergensmeyer, Terror in the Mind of God: The Global Rise of Religious Violence (Berkeley: University of California Press, 2001); Samuel P. Hun– tington, The Clash of Civi– lizations and the Remaking of the World Order (New York: Simon & Schuster, 1996).

(2) Gilles Kepel, The Revenge of God: The Resurgence of Islam, Christianity and Judaism in the Modern World (University Park: Pennsylvania State Univer– sity Press, 1994); and An– thony Giddens, Runaway World: How Globaliza– tion Is Reshaping Our Lives (New York: Rout– ledge, 2003).

(3) Martin Luther King, Jr., "Nobel Lecture" (lecture, University of Oslo Audi– torium, Oslo, Norway, December 11, 1964), http://nobelprize.org/nobel_ prizes/peace/laureates/1964/king–lecture.html.

(4) Christopher Hitchens, God Is Not Great: How Religion Poisons Everything (New York: Hachette Book Group USA, 2007).

(5) Eboo Patel, Acts of Faith: The Story of an American Muslim, the Struggle for the Soul of a Generation (Boston: Beacon Press, 2007), 125–150.

(6) W. E. B. Du Bois, The Souls of Black Folk: Essays and Sketches (Chicago: A. C. Mc– Clurg, 1903), vii.

(7) Michael Walzer, What It Means to Be an American: Essays on the American Experience (New York: Marsilio, 1996).

(8) Diana L. Eck, "What Is Pluralism?" 2006, http://www.pluralism.org/plural– ism/what_is_pluralism.php.

(9) Todd L. Pittinsky and Stefanie Simon, "Intergroup Leadership," Leadership Quar– terly 18, no. 6 (2007): 586–605.

(10) Ibid., 590.

(11) Ibid., 592.

(12) Jessica Stern, Terror in the Name of God: Why Religious Militants Kill (New York: HarperCollins, 2003), 236.

(13) Ibid.

(14) Jessica Stern, discussion with Eboo Patel, June 14, 2007, New York City.

(15) Stern, Terror in the Name of God, 283.

(16) Ibid., 263–264.

(17) Bruce Lawrence, Messages to the World: The Statements of Osama bin Laden (London: Verso, 2005), 154.

(18) Patel, Acts of Faith, 130–131.

(19) Stanley Hauerwas, The Peaceable Kingdom: A Primer in Christian Ethics (Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1983), 26.

(20) Quoted in Benedict Carrey, "This Is Your Life (and How You Tell It)," New York Times, Health Section, Online Edition, May 22, 2007.

(21) Stephen Prothero, Religious Literacy: What Every American Needs to Know—And Doesn't (New York: HarperCollins Publishers, 2007), 12.

(22) Malcolm Gladwell, The Tipping Point: How Little Things Can Make a Big Difference (New York: Back Bay Books, 2002), 197–199.

obeikandl.com